

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

البدع في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ وسيط

إشراف الدكتور:

- مفتاح خلفات

من إعداد الطالب:

- عز الدين بشير

السنة الجامعية: 1434 - 1435 هـ

2013 - 2014 م

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	المقدمة
07	الفصل الاول: البدع في التاريخ والشرع
07	أولا: تعريف البدع لغة واصطلاحا
11	ثانيا : الجذور التاريخية لظهور البدع
12	ثالثا :موقف الفقهاء من البدع المستحدثة في الامة
15	الفصل الثاني :البدع في المعتقد الديني والتاثير الذهني
15	اولا :المعتقد الديني في المغرب الاسلامي
23	ثانيا : تأثير البدع في الذهنية المغربية
28	الفصل الثالث :مظاهر البدع في المغرب وانعكاساتها
28	اولا:بدع المنظومة العقديّة
38	ثانيا :بدع المنظومة الاجتماعية
46	ثالثا : انعكاساتها
50	الخاتمة
53	البيبلوغرافيا
61	الفهارس
66	فهرس المحتوى

وبما أن موضوع البحث البدع في المغرب الإسلامي يعتبر ثاني موضوع أو رسالة أنجزها في مشواري
الدراسي فالموضوع الأول تحت عنوان البيوتات العلمية في الأندلس آل زهر أتمودجا، فقد بذلت جهدي في
العثور على موضوع البدع في المغرب الإسلامي، وعلى الرغم مما وجدته من صعوبة في البحث عن هذه
البدع ولم شتاها فقد اخترت هذا الموضوع لعدة أسباب منها:

- كشف النقاب عن المسكوت عنه في المواضيع والأبحاث ذات الصلة بالجانب الاجتماعي .
 - الرغبة الدائمة في الميل إلى المواضيع المستجدة والجديدة وكذا إظهار كل ماهو مجهول .
 - الإشارة إلى بعض الاحتفالات المبتدعة والتي صار لها رواج بين المسلمين ومتابعتها تاريخيا كاحتفال بأعياد
الميلاد ورأس السنة وغير ذلك من الاحتفالات والمواسم التي لاتنسب إلى الشرع .
- واقترضت الإجابة عن مجمل الأسئلة والإشكالات المطروحة الاعتماد على المنهج التاريخي الذي من خلاله
تتبع فيه مجمل أدواته من تحليل واستخراج النتائج ثم معالجة الاستنتاجات في مختلف الموضوعات ولم يخلو
هذا البحث من الآراء ومناقشتها وفق مايتطلب البحث، وأيضا سعيا مني لوضع الفكرة في القلب التاريخي
حتى أعطي أقرب صورة ممكنة للواقع التاريخي .

ومثل كل بحث فقد اعترضني جملة من الصعوبات من بينها صعوبة الموضوع في حد ذاته، الذي يتطلب
فيه البحث لوقت طويل حتى يعالج كامل جوانبه، وبالإضافة إلى صعوبة استنطاق نصوص النوازل لأنه يمثل
الوعاء المعالج للبدع، تشتت المادة العلمية من كتب العقيدة وكتب التاريخ وخاصة وان الموضوع يشمل
منطقة جغرافية واسعة وفترة زمنية كبيرة .

وتماشيا مع ماوفرته لي المصادر التاريخية من كتب النوازل الفقهية ومصادر التاريخ الاجتماعي، والفقهية
وكذا حرصا مني على إتباع خطوات المنهجية المقرر في التعاطي مع البحث ارتأيت إلى تقسيم هذا البحث إلى
ثلاثة فصول مع التركيز على ترتيبها ترتيبا موضوعيا، حيث استهلته موضوعي هذا بمقدمة لتوضيح أهمية
الموضوع والإشكالات التي يجب الإجابة عنها، وكذا المنهج والصعوبات وعرض الموضوع ثم التحليل ونقد
المصادر .

-الفصل الأول :جاء تحت عنوان " البدع في التاريخ والشرع " استهلته مبحثه الأول بضبط مصطلح

البدع لغويا واصطلاحا، ثم مصطلح البدعة في القرآن والسنة، وثانيا الجذور التاريخية لظهور البدع ورسدت

بالإضافة إلى كتب النوازل والتراجم والسير فقد اعتمدت على الكتب الشرعية أهمها كتاب ابن تيمية (ت 768 هـ) ، مجموع فتاوى ابن تيمية ، الذي ضبط مصطلح البدعة من أنواعها وأقسامها ودراجات خطورتها ، وكذا كتاب الاعتصام للشاطبي (ت 790 هـ) ، ولا يخلو البحث من الكتب اللغوية وأهمها كتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس ولسان العرب لابن منظور ، وجمهرة اللغة لابن دريد وكتاب العين للخليل ابن احمد الفراهدي

هذا بالنسبة للمصادر أما المراجع فقد استفدت بجملة من الراجع أهمها :

- إبراهيم علي التهامي : أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في محاربة الانحرافات العقدية وهي عبارة عن رسالة الدكتوراء القيمة التي أعطت لي صورة واضحة عن البدع العقدية .

- عفاف ابنة الحسن ابن محمد المختار : تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة فهذا الكتاب يعالج بوضوح الانحرافات المذهبية والفرق الكلامية .

- كمال السيد أبو مصطفى : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي ، فقد كان عبارة عن كشف وفهرس للبدع الاجتماعية .

- عبد الله ابن عبد العزيز : البدع الحولية ، فقد أفادني في معرفة أنواع ومظاهر البدع وخاصة التي لها علاقة بالمواسم والأعياد .

وفي الختام احمد الله على توفيقه وعونه لي واشكره سبحانه ، وهو أحق من يشكر واثنى عليه الخير كله ثم اشكر شيخني الفاضل وأستاذي النبيل الدكتور مفتاح خلفات الذي تشرفت بالتلمذ عليه من خلال سنوات الدراسة و كذا انجاز معه ثاني رسالة ، مما جعلني استفيد من علمه وخلقه فاسأل الله إن يجزيه عني خيرا ما جز أستاذا عن تلامذته .

اختلف اللغويين والفقهاء في تحديد مصطلح البدعة كل حسب تخصصه، فعرف اللغويين البدعة من الناحية اللغوية، والفقهاء من الناحية الشرعية، وقد كانوا شديدي الضبط في تعريفها، وهذا لإحياء السنة وإماتة البدعة، فشرعت في تعريف البدعة لغة واصطلاحاً، وموقف الفقهاء منها لتتضح لنا حقيقتها .

أولاً: تعريف البدع لغة و اصطلاحاً:

1 - المعنى اللغوي للبدعة:

لهذه الكلمة أو المصطلح في كتب اللغة ذكر يتناول أصل استخدامها عند العرب و المعاني التي تدلّ عليها ثم انتقل هذه المعاني إلى دلالات أخرى انشقت من المعاني الأصلية لكلمة بدع، فأما أصل استعمالها في لغة العرب فأصلان الأوّل ابتداء الشيء و صنعه لا عن مثال و الثاني الانقطاع و الكلال¹ فمثلاً ما يتعلّق بالأصل الأوّل بدعة الرُّكي² بديع حديث الحفر، و قول العرب لست ببديع كذا و كذا أي لست بأوّل من أصابه هذا³ ، و بهذا يكون معنى الأصل الأوّل هو إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق و لا ذكر و لا معرفة⁴ ..

أما الأصل الثاني فهو الكلال و الانقطاع. مثلاً أبدع الرجل إذ حسر عليه ظهوره⁵ ، جيء في معجم مقاييس اللغة (أبدعت الراحلة إذا كلت و عطبت و أبدع بالرجل إذ كلت ركابه و بقي منقطعاً به، و في الحديث (أن رجلاً أتاه فقال: يا رسول الله إني أبدع بي فأحمني⁶) هذا ما يخص أصل كلمة بدعة أما ما اشتق منها من ألفاظ و معاني أنقل منها ما له علاقة بموضوع البحث.

¹ ابن فارس أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، دار الكتب العلمية، إيران، (د ت)، ص 209.

² الرُّكي بتشديد الراء المهملة وفتحها وكسر الكاف وتشديد الباء المثناة وهي البئر، انظر ابن منظور أبي الفضل جمال الدين: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 331.

³ ابن دريد أبي بكر محمد: جبهة اللغة، تحقيق، رمزي منير بعلبكي، ج1، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ص298.

⁴ لفراهذي الخليل ابن احمد ا: العين، تحقيق، عبد الحميد هندواي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 221.

⁵ نفسه، ج1، ص122.

⁶ الترميذي محمد ابن عيسى ابن سورة: سنن الترميذي، تعليق وتحكيم، محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، (د ت)، ص601.

- البدع : إحداه شئ لم يكن له من قبل خلق و لا ذكر و لا معرفة
- ابتدعت: جئت بأمر مختلف لا يعرف.

- البدعة: اسم ما ابتدع من الدين و غيره¹، و في جمهرة اللّغة كل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه و في الصّحاح، أبدعت الشئ اختراعه لا على مثال⁽²⁾، و هناك عدّة اشتقاقات أخرى، الابتداع، المبتدع، التبدّع، المبدع³ و بعد ذكر الأصل الأوّل فانه يتّفق تماماً على البدعة بالمعنى الشرعي إذ هو ابتداء الشئ و صنعه لا عن مثال⁴، أما الأصل الثاني في استعمال الكلمة هو الانقطاع و الكلال مأخوذة من الإبداع و هو المرض الذي يصيب الإبل فيمنعها من المسير من هزال أو عطب أو كلال و هذا المعنى أيضا ينطبق على البدعة بالمعنى الشرعي إذ المبتدع حيث ينشئ بدعته مضافاً للشرع و مراغم له حيث نصب المبتدع نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكتفي بما حد له⁵.

هذا المعنى الذي ذكره علماء اللّغة هو نفس المعنى الذي ذهب إليه الشاطبي (ت 790 هـ)، في تعريفه للبدعة لغة حيث قال " و أصل مادّة "بدع" للاختراع على غير مثال سابق..."⁶.

2- المعنى الاصطلاحي للبدعة:

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الاصطلاح، تبعاً لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهي عنها و من هذه التعريفات الكلّية الجامعة ما ذكره الإمام الشاطبي (ت 790 هـ)، في كتاب الاعتصام حيث بوّب لتعريف البدعة باباً مستقلاً ذكر فيه معناه الاصطلاحي و قد عرّف البدعة بتعريفين و هما كالآتي:

¹ الخليل ابن احمد الفرهذي: المصدر السابق، ج1، ص122.

² الجوهري إسماعيل ابن حامد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، ج3، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1990 م، صص 1183-1184.

³ الجرجاني على ابن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تحقيق، محمد الصديق المنشاوي، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2004م، صص 9-10.

⁴ ابن فارس: المصدر السابق، ج1، ص209.

⁵ الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم ابن موسى: الاعتصام، تحقيق، أبو عبيدة مشهور ابن حسن، ج2، (د ط)، مكتبة التوحيد، (د، م)، (د ت)، صص 41-42.

⁶ نفسه، ج1، ص41.

أ- فالبدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في تعبد الله سبحانه.

ب- البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية والعادية - العادات و المعاملات - فنجد الشاطبي قد ذكر هذين التعريفين ليضع تعريفا جامعاً مانعاً للبدعة¹ فقوله طريقة: يقصد بها السبيل و السنة و كل ما رسم للسلوك عليه أو اتخذ للتعبد به، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل العملية.

و قوله في الدين: تقييد للطريقة المسلموكة بأنها في الدين لأنها فيه تخترع واليه تنسب و به يلصقها مخترعها، فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تتم بدعة. و قوله تضاهي الشرعية: يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها².

فقال في شرح التعريف يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى ذلك أن أصل الدخول فيها يقصد البدعة بحث على الانقطاع إلى العبادة و الترغيب في ذلك.

لأن الله تعالى يقول: "و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون"³، فكان المبتدع رأى المقصود هذا المعنى و لم يتبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين و المروء كافي، و أيضا فإنّ النفوس قد تملّ و تسأم من الدوام على العبادات المرتبة فان حدّد لها أمر لا تعهده حصل لها نشاط آخر⁴.

¹ الشاطبي: المصدر نفسه، ج1، ص43.

² سعيد ابن ناصر الغامدي: حقيقة البدعة وأحكامها، ج1، ط3، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، 1999م، صص 254-255.

³ الذاريات: الآية، 56.

⁴ سعيد ابن ناصر الغامدي: المرجع السابق، ص 255.

3- مصطلح البدعة في القرآن و السنة:

ورد مصطلح البدعة في القرآن في أربع مواضع قال الله تعالى: " قل ما كنت بدعا من الرسل " ¹، و قوله تعالى: " و رهباية ابتدعوها " ²، و قوله: " بديع السماوات و الأرض " ³، و قوله تعالى: " بديع السماوات و الأرض أنى يكون له ولد " ⁴.

أما في السنة فقد وردت مصطلح البدعة في صياغة الذم في العديد من الأحاديث أهمها:

1- قوله صلى الله عليه و سلم: " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله و خير الهدي هدي محمد و شرّ الأمور محدثاتها و كلّ بدعة ضلالة "

2- قوله صلى الله عليه و سلم: " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ "

3- قوله صلى الله عليه و سلم: " أوصيكم بتقوى الله و الطاعة و إن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي و سنّة الخلفاء الراشدين المهديين عضو عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كلّ محدثة بدعة "

4- و قوله صلى الله عليه و سلم كما روى عن ذلك أنس و عبد الله بن عمرو " من رغب عن سنتي فليس مني "

5- و قوله " إنما أخشى عليكم بعدي بطونكم و فروجكم و مضلات الأهواء " ⁽⁵⁾

¹ سورة الأحقاف، الآية، 9.

² سورة الحديد، الآية، 27.

³ سورة البقرة، الآية 117.

⁴ سورة الأنعام، الآية، 101. حول هذا الموضوع يراجع، محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط1، دار الكتب المصرية، مصر، 1945م، ص 115.

⁵ سعيد ابن ناصر الغامدي: المرجع السابق، ج1، ص 71-72.

ثانيا: الجذور التاريخية لظهور البدع:

تجمع المصادر التاريخية ، أول التفرّق و الابتداع كان بعد مقتل عثمان بن عفّان -رضي الله عنه- و افتراق المسلمين على ما اتّفق علي بن أبي طالب و معاوية - رضي الله عنهما- على التحكيم أنكرت الخوارج و قالو لا حاكم إلا الله و فارقو جماعة المسلمين فأرسل إليهم ابن عبّاس -رضي الله عنهما - فناظرهم فرجع البعض منهم والأخرون أغاروا على ماشية الناس إستحلّو ادماءهم فقتلوا ابن خباب ،¹ وقالو كلنا قتله فقاتلهم علي -رضي اله عنه - .

وأصل مذهبهم الخوارج تعظيم القران وطلب أتباعه ، لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لا يرون إتباع السنة ، التي يظنون أنهم تخالف القرآن فضلّوا وجوزوا على النبي صلى عليه وسلم أن يكون ظالما ، فلم ينقادوا لحكم النبي (ص)، ولحكم الأئمة بعده ، بل قالو إن عثمان وعلي ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله فكفرو المسلمين لهذا و بغيره .

و بإزاء الخوارج أظهرت الشيعة، الغلو في الأئمة و جعلوهم معصومين ، و أوجبوا الرجوع اليهم في جميع ما جاءت به الرسل فلا يرجعون لا على القرآن و لا على السنّة بل على قول من ظنّوه معصوما، و انتهى الأمر إلى الإلتئام بإمام معدوم لا حقيقة له، فكانوا أضلّ من الخوارج فإنّ كان أولئك يرجعون الى القرآن و ان خلطو فيه ، فأولئك لا يردّ الى شيء بل الى المعدوم لا حقيقة له، ثمّ إنهم يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدّق، عن قائل غير معصوم لهذا كانوا أكذب الطوائف² .

¹ هو عبد الله ابن الارث التميمي ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فسماه عبد الله ،لقبه الخوارج ومعه امرأته الحامل فلما عرفوه سألوه عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ،فأثنى عليهم خيرا فذبحوه وقتلوا امرأته الحامل التي شارفة على الوضع وذلك سنة 37هـ، وكان من سادة المسلمين ،عز الدين ابن الأثير ابي الحسن علي ابن محمد الجزري :أسد الغابة في معرفة الصحابة ،تحقيق ،علي محمد معوض، ج3 ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،(د ت) ،صص223-224 .

² ابن تيمية احمد:مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ،ج13 جمع وترتيب عبد الرحمان ابن محمد ابن قاسم ،مجمع الملك فهد للطباعة،المدينة ، السعودية ،2009 م،صص208-209 .

ثالثاً: موقف الفقهاء من البدع المستحدثة في الأمة:

اختلفت أقوال العلماء في موقفهم اتجاه البدع و يمكن أن نخصر هذه المواقف في اتجاهين:

- الاتجاه الأول الذين رأوا أن كل ما أحدث في الدين بعد عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة، وإن وافق السنة فهو محمود وإن خالفها فهو مذموم¹ منهم الإمام الشافعي قوله البدعة بدعتان محمودة ومذمومة. فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم²، كما ذهب الخطابي في شرحه "كل محدثة بدعة" فإن هذا خاص في بعض الأمور دون بعض وكل شيء أحدث على غير أصل من أصول الدين وعلى غير عبادة وقياسة، وأما ما كان منها مبنياً على قواعد الأصول مردوداً إليها فليس ببدعة ولا ضلالة³، وقال الإمام الغزالي "وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليس كل ما أبدع منهياً عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة، وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته بل الإبتداع قد يجب في بعض الأحوال، إذا تغيرت الأسباب"،⁴.

وقد آزر هذا الاتجاه كل من ابن العربي والقاضي عياض فذهب ابن العربي في شرحه لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "وأيكم ومحدثات الأمور" أن المحدث على قسمين محدث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة فهذا باطل قطعاً، ومحدث يحمل التظير على التظير فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء، وقال عمر نعمت البدعة هذه، وإنما يذم من البدعة ما خالف السنة و يذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة⁵.

¹ الاصفهاني أحمد ابن عبد الله أبي نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج9، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996م، ص 113.

² ابن حجر العسقلاني أحمد ابن علي: الفتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، ج13، ط1، تحقيق عبد القادر شيبه احمد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، 2001م، ص28.

³ الخطابي احمد ابن محمد: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، ج4، ط2، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1981م، ص301.

⁴ الغزالي أبي حامد: احياء علوم الدين، ج2، ط1، اعداد ودراسة، بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا، القاهرة، مصر، (د ت)، ص3.

⁵ المالكي ابن عربي: عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترميذي، ج10، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص147.

أمّا القاضي عيَّاض فقد شرح قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه "نعمت البدعة": كلّ ما أحدث بعد النبيّ صلّى الله عليه و سلّم فهو بدعة، و البدعة فعل ما لم يسبق إليه، فما وافق أصلاً من السنّة يقاس عليها فهو محمود، و ما خالف أصول السنّة فهو ضلالة¹.

- الاتجاه الثاني يرون أنّ كل فعل تعبدي لا يستند إلى دليل من الكتاب و السنّة فهو بدعة، و على رأس هذا الاتجاه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله "البدعة ما خالف الكتاب السنّة أو إجماع لسلف الأُمَّة من اعتقادات و عبادات"²، و ذهب ابن رجب الحنبلي أنّ "البدعة ما أحدث ممّا لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعاً و إن كان بدعة لغة، و أمّا ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنّما ذلك في البدع اللغويّة لا الشرعيّة"³.

و لكن إذ نظرنا إلى هذين الاتجاهين من أقوال و مواقف أنّه هناك اتّفاق على أنّ ما كان موافق للكتاب و السنّة و الإجماع فليس بدعة و أنّ البدعة هي ما خالفت شيئاً منهما أو كانت المخالفة لهما معاً، و هذا نلمسه في قول أبي زيد القيرواني "ما خرج عن الكتاب و السنّة و الإجماع و إنّها إحداث شيء من قول أو عمل أو تأويل لم يسبقه السلف"⁴.

¹ عيَّاض أبي الفضل ابن موسى المالكي: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، (د ت)، ص ص 208-219.

² ابن تيمية أحمد ابن عبد الحلّيم ابن عبد السلام: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ج2، تحقيق، ناصر ابن عبد الكرم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، (د ت)، ص ص 589-590.

³ ابن رجب الحنبلي زين الدين ابي الفرج عبد الرحمان ابن شهاب الدين: جامع العلوم والحكم، ج2، ط1، دار الصفوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008، م، ص ص 127-128.

⁴ أبي زيد القيرواني عبد الله أبي محمد ابن عبد الرحمان: النوادر والزيادات، ج2، ط1، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلّو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، م، ص5.

ارتبطت البدع والانحرافات العقديّة بجانبيين ، وهما المعتقد الديني الذي يرفض تماما للأفكار المخالفة للسنّة ، و الموروث الشعبي الذي تعلق به المغاربة منذ العصور القديمة وتمسكو به وان كان مخالف للشرع وهذه النقطة ارتبطت بذهنية العامة .

أولاً: المعتقد الديني في المغرب الإسلامي

يرجع استقرار العقيدة الإسلامية إلى الفاتحين الأوائل فكان أول عمل يقومون به هو نشر الدعوة الإسلامية حيث نجد أول عمل قام به عقبة ابن نافع (50-55 هـ) بعد فتحه للقيروان هو بناء مسجدها العظيم وجعله مركزاً لنشر الدعوة الإسلامية بين سكان المغرب وكان الهدف وراء ذلك أن تكون عاصمة للحكم الإسلامي ومركز لنشر الدعوة الإسلامية بأسلمة المغرب وأشار إلى ذلك في قوله " إني أرى إفريقية إذا دخلها إمام تحروا بالإسلام فإذا خرج عنها رجع كل من أحاب منهم عن دين الله ... " ¹.

ولما جاء دور موسى ابن نصير رضي الله عنه ركز هو الآخر على جانب التعليم حيث سخر 27 رجلاً من العرب ممن ساهموا معه في الفتح لتعليم الناس أمور الدين والدنيا²، وكان لموسى ابن نصير دور بارز في استقرار كلمة الإسلام في البربر بشهادة أبي زيد القيرواني حيث يقول " أن البربر ارتدوا اثني عشر مرة وأنهم لم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى ابن نصير ... " ³.

وتدعمت العقيدة الإسلامية ببعثة عمر ابن عبد العزيز إلى المغرب التي تعتبر البدء الفعلي في تعليم علوم الدين بالمغرب والتي كانت تتكون من عشر فقهاء وقيل تسعة وهؤلاء الفقهاء هم موهب ابن يحيى المعارفي ، حبان ابن أبي جبلة ، اسماعيل بن عبيد الله بن العور القرشي ، اسماعيل بن عبيد الله مولى الانصاري ، طلقة بن

¹ مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ط2، نشر وتعليق، سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1985م، ص113.

² عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1 ، ضبط المتن والحواشي والفهارس ، خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2000م، ص126.

³ أحمد ابن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لاجبار دول المغرب الاقصى ، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ص60.

حابان بكر بن سوادة الجذامي، عبد الرحمان بن رافح التنوخي، عبد الله ابن يزيد سعيد ابن مسعود التجيبي، وقد كان لهذه البعثة اثر كبير في نشر السنة وتفقيه أهل المغرب¹.

وبعد ما ساد الإسلام في بلاد المغرب تبنو المذهب المالكي عن طريق تلامذة مالك ابن انس (ت 179 هـ) حتى أصبح هو المذهب السائد، حيث جاء في ترتيب المدارك "وأما افريقية وما وراءها - الجزائر المغرب الأندلس - فقد كان الغالب عليها مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي ابن زياد²، وغيره بمذهب مالك .." وبقي هذا المذهب يفشو إلى أن جاء الإمام سحنون بحيث استقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا³.

ويعود فضل تمسك المغاربة بالمذهب المالكي إلى علاقة التأثير والتأثير بين الامام مالك وطلبته ففي النصف الأول من القرن 2 هـ كان أمر مالك ابن انس قد بدأ مذهبه في الفقه يعلو بما امتاز به من الالتزام بالقرآن والسنة والابتعاد عن التأويل، ما أمكن فأقبل عليه طلبة المغرب، ووجدوا فيه ضالتهم فهو يدرس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان في منظورهم أقرب إلى روح الإسلام ممن يدرس في الكوفة أو البصرة أو دمشق وهو يلتزم الكتاب والسنة ولا يفتي إلا بحذر شديد وبحث طويل⁴.

لذلك كله افتتن به أهل المغرب واقتدوا به حيث تأثروا به إلى حد ان قلده في كل شيء، وحسي في ذلك، ماجاء في ترجمة ابن وسلاسن ابو محمد الليثي يحي ابن يحي الليثي أصله من الربر من قبيلة مصمودة من بني ليث سمع على مالك، يسميه مالك ابن انس بعامل الاندلس يقول الضبي " واليه انتهت الرياسة بالفقه في

¹ ابراهيم علي التهامي: أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقديّة، ج1، رسالة دكتوراء، كلية الدعوة واصول الدين، قسم العقيدة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1989م، ص 38-42.

² ابو الحسن علي ابن زياد التونسي، كان تلميذا ملك، وألف عدة كتب حول آراء مالك، توفي حوالي سنة 184 هـ، الشيرازي ابي اسحاق الشافعي: طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 152.

³ عياض ابن موسى ابن عياض السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج1، تعليق، محمد ابن تاوايت الطنجي، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، المغرب، 1965م، ص 25-54.

⁴ ابراهيم علي التهامي: المرجع السابق، ج1، ص 49-51.

الاندلس وبه انتشر مذهب مالك " كان قد اخذ على نفسه وهيته هيئة مالك فكان ينعت نفسه بمالك بقوله " أنا يحيى ابن يحيى أنا مالك ابن أنس " ¹. وأحس مالك بهذا الإعجاب وهذا التقدير فأقبل عليهم وأوسع لهم في المجالس والدليل على هذا ذلك ما ورد في ترجمة ابن فروخ في رياض النفوس انه لما قدم المدينة في طريقه إلى الحج دخل على مالك في مجلسه فألقى إليه مالك بالسلام وقام إليه وكان الإمام قل ما يفعل هذا مع بقية الناس وكان لمالك موضع في مجلسه يقعد فيه والى جانبه المخزومي المغيرة لا يستدعي مالك احد للجلوس فيه وسأله عن أموره وأحواله وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر إلا قال أحب يا أبا محمد فيجيب ثم التفت مالك لأصحابه وقال " هذا فقيه أهل المغرب " وبالمثل فعل مع ابن غانم ².

وأما موقف علماء المغرب من البدع والمبتدعة فقد كانوا فيه من أشد الناس مقاومة لها ومن أشدهم تحذيرا منها ولاشك أن موقفهم هذا يمتد جذوره إلى موقف مالك وتستمد وجودها من وجوده وهذا لا يقتصر على البدع الكبيرة فقط بل انه كان موقفا واحدا مهما كانت تلك البدع صغيرة أو كبيرة ³، وهذه الشدة نستشفها في بعض علماء المغرب مثل موقف أبي جعفر موسى ابن معاوية ⁴، حيث لقي في رحلته محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة فلم يأخذ عنه فلما سئل في ذلك قال " لو ملأ بي مسجدي هذا ذهابا ما سمعت منه حرفا وذكر انه بلغه عنه شيء من مخالفة السنة " ⁵.

¹ الضبي: بغية الملتمس، ج2، ط1، تحقيق ابراهيم الايباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989م، ص ص 685-687 .

² المالكي أبي بكر عبد الله ابن محمد: رياض النفوس، ج1، ط2، تحقيق، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994 م، ص ص 179-180 .

³ ابراهيم علي التهامي: المرجع السابق، ج1، ص 160.

⁴ ابو جعفر موسى ابن معاوية الصمادحي كان عالما بالفقه والحديث رحل الى المشرق سنة 194 هـ، وعاد سنة 196 هـ، ولقي في رحلته الكثير من العلماء توفي سنة 225 هـ، الدباغ ابوزيد عبد الرحمان ابن محمد الانصاري: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، ج2، ط2، تحقيق، محمد الأحمدى أبو النور، مكتبة العتيق، تونس، 1968م، ص ص 51-58.

⁵ عياض: ترتيب المدارك، ج3، ص 5.

ومن القرائن أيضا التي نسوقها للبرهنة على معارضة فقهاء المالكية للبدع موقفهم من الفرق فمثلا موقف جبلة بن حمود الصديقي¹. من الشيعة العبيديين حيث سأل عن تركه الرباط وسكناه بالقيروان فأجاب " كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل العدو بساحتنا وهو اشد علينا من ذلك... "، ثم يضيف " .. جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك... "2.

كما اعتبر علماء المغرب الروافض كفار فقد اعتبروا دارهم دار كفر واعتبروا أيضا أهل الكلام كلهم أهل بدع وأهواء سواء منهم من كان اشعري أو غير اشعري.

وهذا أتمودج على مواقف علماء المغرب من أهل البدع المستمدة من آراء ومواقف الإمام مالك رحمه الله وهذا التأثير كان عامل ايجابي وهو سلامة المغرب من البدع والصراعات العقديّة اذا قورن بالمشرق

فهذا الإمام أبو بكر ابن العربي يثني على المغرب لسلامته من تلك البدع والانحرافات التي يعاني منها المشرق فيقول " ... خرجت من بلادي على الفطرة فلم الق في طريقي إلا ما كان على سنن المهدي يعبطني في ديني ويزيدني في يقيني حتى بلغت هذه الطائفة - يقصد مصر أيام حكم الفاطميين - فلم يبق باطل إلا سمعته ولا كفر إلا شففته به ووعيته "3

ويقول ابن جبير صاحب الرحلة المشهورة " ولينتحقق المتحقق ويعتقد صحيح الاعتقاد انه لا إسلام إلا ببلاد المغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله عز وجل من أهلها... "4.

¹ ابو يوسف جبلة ابن حمود ابن عبد الرحمان ابن جبلة الصديقي ولد سنة 201 هـ، سمع من سحنون وكان شديد على اهل البدع لم يكن احد اشد منه في محاربة للروافض توفي سنة 299 هـ، ابن فرحون المالكي ابراهيم بن نور الدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج1، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، صص 321-324.

² عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص 251.

³ ابراهيم علي التهامي: المرجع السابق، ج1، صص 166-167.

⁴ ابن جبير ابي الحسن محمد الكناي الاندلسي: رحلة ابن جبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 55.

كما برز عدد كبير من العلماء كان لهم الفضل بعد الله تعالى في تمكين للمذهب السني في المغرب ودحض كل الاتجاهات والعقائد المنحرفة عنه فمن هؤلاء العلماء كانت لهم القدرة العالية في ترسيخ المذهب المالكي في المغرب و الأثر العظيم في إرساء دعائمه والذين اثروا هذا الجانب بمصنفاتهم ومواقفهم :

محمد ابن سحنون (ت 256 هـ)¹ الذي يعتبر فاتحة تدوين الكتابة في مسائل العقيدة على طريق أهل السنة بعدما ظل علماء السنة المغاربة محججين عن اقتحامه ، فقد كان ابن سحنون من الأكابر كما يصفه الإمام ابن تيمية حيث يقول ” وكذلك المتأخرين من أصحاب مالك كأبي الوليد الباجي وأبي بكر ابن عربي لا يعضمون الا بموافقة السنة والحديث وأما الأكابر مثل ابن حبيب وابن سحنون ونحوهما فلو آخر ”²

بحيث لم يكن احد في عصره أجمع الفنون العلم ولا أكثر تصنيفا منه حيث صنف مصنفات عظيمة في الفقه والعقيدة والمغازي وغير ذلك من فنون العلم والذي يهمننا نحن في بحثنا هذا مصنفاته في محاربة البدع وبالناحية العقدية والتي نذكر منها كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك وكتاب الحجة على القدرية وكتاب الرد على أهل البدع ورسالة فيمن نسب للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن هذه المؤلفات للأسف الشديد لم يصلنا منها شيء³ .

ومثله أيضا أبو عثمان سعيد ابن حداد (ت 302 هـ)⁴ ، كان له الأثر في كل الميادين فهو يعتبر من أشهر العلماء الذين رفعوا لواء السنة ومقاومة البدعة بمواقفه المشهورة التي تتم عن عقلية صارمة وذكاء حاد وكانت له مقامات كريمة و مواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذب عن السنة⁵ ، وله عدة مصنفات

¹ هو ابو عبد الله محمد ابن سحنون عبد السلام ابن سعيد التنوخي القيرواني ولد في القيروان ولد في القيروان سنة 202 هـ وتوفي سنة 256 هـ،الذهبي شمس الدين محمد ابن محمد : سير أعلام النبلاء ، ج 13، ط1،تحقيق ، علي ابو زيد،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،1983م ،ص60-63.

² ابن تيمية ابي العباس تقي الدين :تعارض العقل والنقل ،ج4،ط1،ادارة الثقافة والنشر بالجامعة ،مكة ،السعودية ،1989م ،ص18.

³ ابراهيم علي التهامي : المرجع السابق ،ج1، ص 197.

⁴ ابو عثمان سعيد ابن محمد الغسلاني المشهور بابن الحداد ولد سنة 219هـ، وعاش في القيروان وكان واسع المعرفة في شتى العلوم توفي سنة

302 هـ، الدباغ :المصدر السابق ،ج2،ص ص 295-315..

⁵ نفسه.

التي تخص بحثنا أهمها كتاب الاستواء، وكتاب توضيح مشكل القرآن، وكتاب عصمة الأنبياء، وكتاب المقالات وفيه الرد على جميع المذاهب وله مجالس كثيرة متناثرة هنا وهناك في كتب التراجم¹.

وقد آزره في محاربة البدع، محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، الذي يعتبر شيخ علماء عصره حيث كان يلقب بمالك الصغير لما كان له من الأثر العظيم ودور فعال في نشر المذهب المالكي على نطاق واسع بالمغرب وكانت طريقته في العقائد هي طريقة السلف لا يدري ما الكلام ولا التأويل²، وبسبب عقيدته السلفية أتهم بالتشبيه كما ذكر الإمام المقري في كتاب أزهار الرياض³.

وكلام هؤلاء تردده كتبه القيمة في مجال العقيدة وكذا شهادة كبار العلماء الكلام فهذا الإمام أبو بكر الباقلائي (ت 403 هـ)⁴، رأس الأشعرية في عصره يشهد لأبي زيد القيرواني بالتبحر في علم أصول الدين في كتابه المصنف في كرامات الأولياء حيث يقول "لأن فضل علمه وما نعرفه من دينه وحسن بصيرته وإطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط في التوسع في معرفة فروع⁵".
ولي أبي زيد القيرواني الكثير من المصنفات أهمها رسالة في الفقه المالكي الجامع في السنن والآداب والمغازي والسير كتاب النهي عن الجدال ورسالة في الرد على القدرية ورسالة في الرد على ابن مسرة⁶.

¹ ابراهيم علي التهامي : المرجع السابق، ج1، ص 198.

² الذهبي :المصدر السابق، ج17، ص 13.

³ المقري التلمساني شهاب الدين احمد ابن محمد: أزهار الرياض بأخبار عياض، ج3، تحقيق، ابراهيم الاياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1942، ص 85.

⁴ هو ابو بكر محمد ابن الطيب ابن محمد الباقلائي اصله من البصرة وعاش في بغداد واستدعاه عضد الدولة الى البلاط في شيراز لينظر المعتزلة توفي سنة 403 هـ، ابن خلكان شمس الدين احمد ابن محمد:وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج4، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص ص 269-270.

⁵ الباقلائي ابي بكر محمد ابن الطيب ابن:البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنا رجات، تحقيق، الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، 1958م، ص5.

⁶ ابراهيم علي التهامي : المرجع السابق، ج1، ص 203.

ومثله أيضا الإمام ابن أبي زمنين (ت 399 هـ)¹ تصفه المصادر بأنه كان من المحدثين والفقهاء حافظا للرأي ومعرفة الحديث إلى زهد وورع واقتفاء أثر السلف²، ووصفه ابن تيمية بقوله "الإمام المشهور من أئمة المالكية"³، وتشهد له كتبه الكثيرة المتنوعة بغزارة علمه وتنوعه فقد صنف في العقائد والزهد والفقہ والحديث وقال الشعر وألف في الأدب المذكورة في ترتيب المدارك⁴.

وأما أبو عمر الطلمنكي⁵، كان شديد التمسك بالسنة، عرفا بأصول الديانة على هدي واستقامة وكان في العقائد على منهج السلف، شديد على أهل الأهواء والبدع سيفا مجردا عليهم قامعا لهم غير على الشريعة⁶.

كما كان أبو عمرو الداني (ت 444 هـ)⁷، له باع في السنة وقدم راسخة في الدفاع عن مذهب السلف وعقيدتهم ضد الانحراف اشتهر في مجال القراءة عرف بكتابة الأرجوزة الكتاب الوحيد في مجال العقيدة التي لم يذكرها سوى الذهبي في كتاب السير انتقد فيها أئمة الضلالة والبدعة من المعتزلة والشيعة وغيرهم⁸.
والجدير بالذكر ان ابن عبد البر (ت 460 هـ)⁹ يعد أحد مفاخر المغرب الإسلامي في محاربة الانحرافات البدعية فقد كان إماما في الحديث وعلومه، والعقائد، والفقہ، والتاريخ، والأدب و، يصفه صاحب المغرب في حلى المغرب بقوله "إمام الأندلس وحافظها الذي حاز فضل السبق واستولى على غاية

¹ ابو عبد الله محمد ابن عبد الله ابن عيسى ابن محمد ابن ابي زمنين الاندلسي الالبيري، شيخ قرطبة ولد سنة 320 هـ، تفقه بابي اسحاق الطليطي توفي سنة 399 هـ، الذهبي: المصدر السابق، ج17، 188-190.

² عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص672.

³ ابن تيمية: المصدر السابق، ج5، ص58.

⁴ عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص673.

⁵ ابو عمرو اعثمان ابن محمد ابن عبد الله ابن ابي عيس المعافري الطلمنكي اصله من طلمنكة سكن بقرطبة وروي بما توفي سنة 420 هـ، الحميدي ابي نصر فتوح ابن عبد الله: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الدار المصرية للتأليف، مصر، 1966م ص114.

⁶ ابن بشكوال: الصلة، ج1، ط1، تحقيق ابراهيم اليباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1989م، ص180.

⁷ ابو عمر عثمان ابن سعيد ابن عثمان ابن عمر القرطبي الشهير في زمانه بابن الصيري توفي سنة 444 هـ، بقرطبة، احمد ابن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1988م ص135.

⁸ الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص83.

⁹ ابو عمر يوسف ابن عبد الله ابن محمد ابن عبد البر النمري ولد سنة 362 هـ، توفي 460 هـ، ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص974-973.

الأمر " ¹. ويصفه الإمام القاضي عياض في ترتيب المدارك بقوله " وفاق من تقدمه من رجال الأندلس وعظم وعظم شأنه بما وعلا ذكره في الأقطار ورحل إليه الناس وسمعو منه " ²، ويصفه بإمام المعارف فيقول " فقيه فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالحلاف في الفقه وبعلم الحديث والرجال " ³ ن وطبقة شهرته حتى لقب بحافظ المغرب في زمانه ⁴.

¹ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ج2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر، (د،ت)، ص 407.

² عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص 809.

³ الحميدي: المصدر السابق، ص. 344.

⁴ الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص156.

ثانياً: تأثير البدع في الذهنية المغربية

أصبحت بعض البدع تعتبر من الموروث الشعبي، و إذا قلنا الموروث فإننا نقصد العادات و التقاليد الشعبية الكثيرة التي ساهمت فيها الأجيال عبر العصور المختلفة فكانت عبارة عن طقوس مقدّسة أصبحت بذلك مشتركة بين أبناء المنطقة و أضحت هذه العادات راسخة في نفوس الأجيال فتوارثت جيل عن جيل و شكّلت تراثاً شعبياً يشترك فيه عامّة الناس يطبع سلوكهم و أفعالهم و حياتهم اليومية و يؤثّر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل¹، لأنه يجسّد ماضيهم و ماضي أجدادهم، و يمثّل بالنسبة إليهم الإطار العام الذي يتحرّكون فيه و قد تأخذ هذه العادات طابع القداسة و يصبح المحافظ عليها من الأهمية بمكان بالنسبة لجميع أفراد المنطقة أو الجهة.

فتعتبر ظاهرة البدع أيضاً ذات المنظومة الاجتماعية جزءاً من الممارسة الشعبية الدنيّة و هذه بدورها تمثّل جزءاً من نظام الدين في ثقافة المجتمع، فهي ظاهرة تجذّرت في السلوك الاجتماعي و أتساقه الثقافي و هويّتهم بشكل لا شعوري أيّ بشكل لا يستدعي تفكيراً حول مغزاه أو مدى معقوليّته، و لهذا نجد أنها تترجم عن بعض الحاجات الفرديّة كونها سلوك و تعبير عقائدي و ظاهرة حضاريّة ذات أصول و جذور امتدّت و تشعبت و تشابكت لتصبح راسخة في اللاشعور الفردي⁽²⁾، كما أنّ البدع قد مسّت العامّة أكثر من الطبقة الخاصّة أو الحاكمة، فنجد ركون العامّة الى الفكر الغيبي و المعتقدات الشعبية لا يمكن أن نفسره الا دليل على عدم قدرتهم في تجاوز المشاكل التي كانوا يعيشونها، و التي كانت تطرحها الظروف الاقتصادية المزرية، هذا من جهة و من جهة ثانية لتغطية واقعهم بمرارته و حجب صورة الظلم و الفاقة التي كانوا يعيشونها في كنف النظم السياسيّة الحاكمة، و في ظلّ هذه الحالة و تزامنها مع عدم وجود الوعي من طرف الفقهاء التي كانت أغلبها تحت السيطرة من طرف الحكّام كانت الفرصة ملائمة لانتشار الشائعات الزائفة و الروايات الباطلة³ التي كانت

¹ معاشو بوشمة: سيدي غانم تراث وثقافة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002م، ص ص 22-23.

² نفسه .

³ ابن الموقت: السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ط2، الدار البيضاء للنشر والتوزيع، (د،ت)، ص 85.

مصدر من مصادر ظهور البدع، فضلا عن التنجيم¹، وأصحاب المحاكاة²، و الأمل و هي عادات انتشرت في ربوع العالم الاسلامي³ ككلّ و ليس بالمغرب فقط.

فقد وجدت العامّة في تبادل هذا و ذاك من هذه المعتقدات البدعيّة شيئا من العزاء و الترويح النفسيّ ممّا كانوا يعانونه على يد السلطة الحاكمة، و ممّا كانوا لا يفهمونه من تقلّبات مجتمعيّة من جيل الى جيل متلاحقة كما اعتاد بعض الطوائف العامّة في مزاوله طقوس باطلة يمكن اعتبارها أعرافا متوارثة، و لكنّها في الحقيقة أمراض أو آفات اجتماعيّة، جاهد بعض رجال الدين من أجل القضاء عليها في سبيل تطهير المجتمع منها⁴، و هناك من كان يتقاعس و يسكت عليها فنجد مثلا في قول ابن الحاج " و يسكت لهذا العالم و غيره و يعطوهمنّ و لا ينكرون عليهم ذلك"⁵.

فجلّ البدع انصبّت في ظلّ العادات و التقاليد لأغراض مهنيّة كالتنبؤ بالغيب أو المستقبل سوءا عن طريق فك الرموز و دلالات كتف شاة أو عن طريق ما عرف بخطّ الرمل الذي برع فيها المهدي بن تومرت حتّى وصف بأنّه أوحد عصره في خطّ الرمل⁶، كما ساد الاعتقاد بالجنّ و التمسّح ببركات الأولياء و الصالحين أمّا للاستشفاء أو لأغراض أخرى، كما ارتبطت ذهنيّات المجتمع العوام بالطرق العلاجيّة البدعيّة و هذا لضعف قدرتهم الشرائيّة و ارتفاع تكاليف الأدوية و الفحوصات الطبيّة فكان المرضى و أصحاب العاهات و الأمراض

¹ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1985، م، ص 385.

² ابن دحية: المطرب من اشعار أهل المغرب، تحقيق ابراهيم الايباري، القاهرة، 1993م، ص 86.

³ ابن الجوزي ابي الفرج البغدادي: تلبيس ابليس، دار ابن خلدون، الاسكندرية، مصر، (د،ت)، ص 401.

⁴ نفسه .

⁵ ابن الحاج ابو عبد الله محمد العبدري المالكي الفاسي: المدخل الى تنمية الاعمال بتحسين النيات، ج1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر (د،ت)، ص 286-287 .

⁶ عبد الكريم جودت يوسف: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ت)، ص 311.

المزمنة و خاصة النساء منهم اللواتي يترددن على الصالحين و قبور الأولياء لأخذ شيء من تراهما للاستشفاء به¹ أو الذهاب الى الزهاد و المتصوفة الذين اشتهروا بإظهار كراماتهم و ذلك بوضع أيديهم على المرضى أوريقهم على أماكن الألم² ، كما هيأت ظروف القهر الاقتصادي و الاجتماعي و الواقع السياسي المضطرب في ظهور أشخاص انتحلوا النبوة كابن محمد الكتاني المعروف بابن الطواجن³ ، و هذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على أنّ الجهل و عدم الوعي قد يؤدّي مع الظروف المزرية إلى ظهور انحرافات خطيرة تصل إلى حدّ الانتحال بالنبوة.

هذا فيما يخصّ ذهنيّة المغاربة في اتجاه البدع ذات الموروث التقليدي الشعبي أو العادات و التقاليد أمّا ما يخصّ بدع ذات المنظومة العقديّة فارتبطت حسب تقديري الى سداحة بعض عقول الناس فخير مثال على هذا نجاحا الدعوة الإسماعيلية في المغرب، فحسب اطلاعي لم يكن فقط و ليد الظروف التي كان يعيشها المغرب أو احتضان كتامة لها بهدف أو غرض ما و إنما كانت عقولهم تصدّق كلّ عالم أو شيخ مشرقي، فاشتغل الدعاة -دعاة الإسماعيلية- على هذه النقطة.

و ركّزوا على مدى تصديق أفكارهم من خلال النظر إلى طبيعة تفكيرهم فقد كانوا يراعون البيئة الاجتماعية بمختلف معتقداتها الاجتماعية و مدى وعي الأفراد من الناحية الشرعيّة و خاصة ضعف التحصيل العلمي ، و الدليل على هذا الكلام ما ذكره بدر الدين بن قاضي شهبة⁽⁴⁾ قوله " و كان له أيّ المهدي دعاة بالمغرب يدعون الناس إليه و الى طاعته و يأخذون عليه العهود و يلقون الى الناس من أمره بحسب عقولهم فمنهم من يلقون إليه أنّ المهدي ابن رسول الله و حجّة الله على خلقه و منهم من يلقون إليه أنّه الله الخالق

¹ احمد الحمودي: المظاهر الذهنية لعامة المغرب الاقصى في المغرب الموحد، محاضرات ملتقى (التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور (منشورات، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية ، جامعة منتوري، افريل 2001م، صص 119-120.

² ابن الزيات ابي يعقوب يوسف ابن يحيى التادلي : التشوف الى رجال التصوف، ط2، تحقيق احمد توفيق، منشورات كلية الاداب بالرباط، المغرب، 1997م، ص321.

³ الناصري: المرجع السابق، ج2، صص 234-263.

⁴ هم ابو الفضل بدر الدين محمد ابن أحمد الاسدي الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة فقيه ومؤرخ من آثاره الكواكب الدرية في السيرة النورية ، كفاية المحتاج الى توجيه المنهاج تنوفي سنة 874هـ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الفنون، ج2، (د ط)، طبعه وعلق على حواشيه محمد شرف الدين ورفعت بيك الكلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 1521.

الرازق" (1) و على حدّ قول بدر الدين بن قاضي فإنّ الدعاة كانوا يلقون أفكارهم بدرجاتها الانحرافية حسب عقول المغاربة.

¹ ابراهيم علي التهامي : المرجع السابق ، ج1، ص 441.

تنوعت البدع، واتخذت أشكال عديدة، واقتصرت في اتجاهين كبيرين، بدع المنظومة العقدية المختصة في جانب العقائد من الفرق الكلامية والمذاهب، وبدع المنظومة الاجتماعية بأعيادها ومآتمها، وعاداتها وتقاليدها.

أولاً : بدع المنظومة العقدية:

أ- الخوارج:

الخوارج تمثلها فرقة الإباضية في المغرب التي بقت ردحا من الزمن مقارنة بالصفوية، فيزعم الإباضية أنهم من أهل السنة والجماعة وأنهم الطائفة المنصورة، وأن ما هم عليه هو الحق الذي جاء به الله عزّ وجلّ ورسوله عليه الصلاة والسلام وعند التحقيق نجدهم قد خالفوا أصول القرآن والسنة في أمور عديدة منها:

1- التوحيد عند الإباضية هو تجريح الذات الإلهية عن كلّ ما يتصوّر في الإفهام و يتخيّل في الأوهام والأذهان و يقصدون ذلك في الصفات على الله عزّ وجلّ¹.

2- تأويل الصفات و يقولون أنّ صفات الله هي عين ذاته و أنّ الإسم و الصفة بمعنى واحد، و بذلك يخالفون أهل السنة والجماعة و يوافقون المعتزلة و الشيعة الامامية.

3- كلّ من يخالفهم في الاعتقاد كافر².

4- ذهب الاباضية في باب رؤية الله تعالى الى انكار وقوعها³.

¹ نور الدين أبي محمد عبد الله ابن حميد السالمي: مشارق انوار العقول، تحقيق عبد المنعم العاني، ط1، دار الحكمة، دمشق، سوريا، 1995م، ص 205.

² الشهرستاني ابي الفتح محمد ابن عبد الكرم ابن ابي بكر احمد: الملل والنحل، ج1، ط3، تحقيق، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1993م، ص 134.

³ عفاف ابنة الحسن ابن محمد مختار: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 2000م، ص 369.

- 5- قولهم بخلق القرآن و ان كان فريقا منهم لا يقول بذلك.
- 6- نفي مسألة شفاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يخصّ عذاب القبر¹.
- 7- تكفير مرتكب الكبيرة و يطلقون عليه كافر كفر نعمة و منافقا²
- 8- الايمان عندهم يزيد و لا ينقص و خالفة السلف في هذه النقطة.
- 9- يجوزون الخروج عن الامام الحاكم، حتّى ان صدر منه ذنب بسيط فإمّا أن يتوب و الا فالسيف جزاؤه³.
- 10- يجوزون التقية و بذلك يتشاهمون مع الشيعة⁴.
- 11- عدم الإحتجاج بأحاديث الا أجادوا بذلك يوافقون المعتزلة.
- 12- الطعن في الصحابة رضي الله عنهم و هم خير الأمة بعد الرسل و الأنبياء⁵.

و قد قاوم علماء المغرب للفكر الخارجي و بدعه و بشّى الوسائل بين القوّة و المناظرة العلميّة و كانت وسيلة القوّة و رفع السلاح في وجه الخوارج هي أقوى المسائل و أمضاها التي اتّخذها العلماء المغرب في إخماد جذور الخارجيّة و كانت أوّل موقعة شارك فيها علماء المغرب السنّة جيش الخلافة و تعاونوا معه في مقاومة الخوارج، هي موقعة بقدورة سنة 124 هـ. التي اهزم فيها جيش الخلافة لكنّهم أبلو بلاء حسن⁶ و لم تفت هذه الهزيمة في عضد العلماء بل زادهم قوّة و اصرار على مواجهة الخوارج فالتقوا مرّة ثانية في موضع عرف بالفحص الأبيض فهزمهم و قتلوا عامتهم⁷، و برز دور العلماء المغاربة السنّة في مواقع أخرى و ظهر تأثيرهم الكبير على العامّة عندما أقبل الخوارج الصفرية في جموع كبيرة نحو القيروان حيث طفقوا يذكرون الناس بفضل الجهاد في سبيل الله و بينو لهم سوء مذهب الخوارج في المسلمين السنّة من

¹ الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص134.

² علي يحي معمر: الاباضية بين الفرق الاسلامية، ج2، نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، 1994م، ص140.

³ عفاف ابنت الحسن: المرجع السابق، ص369.

⁴ علي يحي معمر: المرجع السابق، ج2، ص115-116.

⁵ عفاف ابنت الحسن: المرجع السابق، ص369.

⁶ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة، ط2، تحقيق إبراهيم الايباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989م، ص37.

⁷ ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1961م، ص298-302.

بغى و هتك عرض و سفك الدماء و بعد أن بلغ الحماس مداه، وآنجهوا الجيوش الصفريّة ففضوا عليها و هزموها شرّ هزيمة¹.

لم يقتصر جهادهم و مقاومتهم لهذا الفكر على هذا الجانب بل سلكوا مسالك أخرى مثل توعية الناس بخطر الخوارج و في ذلك يقول الإمام ابن حبيب الذي كان يكفره الإباضيّة " أن يشهر الفساد ما يعتقدونه لئلا يلبسون على أحد و لئلا يسكن في قلب أحد من ضلالتهم بشيء"²، كما كانت وسيلة اخراج هؤلاء المبتدعة من المسجد و تفريق جماعتهم من الوسائل المجدية التي سلكها علماء المغرب في مقاومة الفكر الخارجي يقول القاضي عيّاظ " و كان بالقيروان في مسجدها حلق الصفريّة و الإباضيّة المغيرية الى أن جاء سحنون سعيد ففرّق حلقهم و منعهم من بثّ مبادئهم" ، كما اغتنم علماء السنّة المغاربة جوّ الحرية الذي وفّره الدولة الرستميّة التي سمحت حتّى بالمناظرة بين أهل السنّة و أهل الإباضيّة أنفسهم و الى جانب هذه الوسائل التي ذكرة هناك وسيلة أخرى اتخذها علماء المغرب في مقاومة الفكر الخارجي هي وسيلة التأييف حيث تناولوا أفكارهم من خلال مؤلفاتهم بالنقد و التفنيد فهذا الإمام ابن عبد البرّ قد تناولهم بالنقد و تنال عقائدهم بالتفنيد من خلال مصنفاته في السنّة فهو يعرفهم بقوله " قوم استحلبوا بما قالو من كتاب الله دماء المسلمين و كفروهم بالذنوب و حملوا عليهم السيف و خالفوا عامّتهم"⁽³⁾ هذا ما كان من أمر مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجي و هذا يمثل الجزء الضئيل في جهود العلماء في مقاومة البدعة و نشر السنّة.

¹ براهيم التهامي: الرجع السابق، ج2، ص520.

² الونشريسي ابو العباس احمد ابن يحي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والانديلس والمغرب، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1980، م، ص ص 446-447.

³ براهيم التهامي: الرجع السابق، ج2، ص523-527.

ب- بدع الشيعة:

كان موقف العلماء المغاربة السنة قوي وشديد وقد أخذت المقاومة للتشيع أشكالا متعددة وأنماط مختلفة فمرة تكون المقاومة في شكل اعتزال لكل ماهو شيعي وكل ماله صلة بالتشيع ومرة كانت تأخذ شكل الجدل فتقع بين أهل السنة وبين الشيعة معارك جدلية عنيفة يقودها جماعة من الفريقين من أهل العلم والذكاء والشجاعة وبلغت بعض الأحيان إلى أن تأخذ شكل المقاومة المسلحة يجعل فيها علماء السنة السلاح ويجرضون العامة على ذلك لمقاومة هذا الدخيل اللقيم¹، ولانستغرب ذلك اذا عرفنا السبب الحقيقي لهذه المقاومة الذي كان يمثل في سلوك الشيعة المخالف للإسلام فقد كان القتل والتعذيب من ابرز سمات الحكم العبيديين ومقاومة كل ماهو سني بالاضافة الى الاباضية².

ويمكننا ان نلخص مظاهر انحرافات وبدع الشيعة العبيديين فيما يلي :

- 1- ابطال بعض السنن المتواترة والمشهورة والزيادة في بعضها كما فعلوا في زيادة "حي على خير العمل" في الاذان واسقاط صلاة التراويح ومن ذلك ماورد في قصة ابن عروس كان مؤذن في احد المساجد شهد عليه بعض الشيعة انه لم يقل في آذانه حي على خير العمل فكان جزائه ان قطع لسانه ووضع بين عينيه وطيف به القيروان ثم قتل سنة 317هـ³.
- 2- غلو بعض دعاةهم في المهدي حتى انزلوه منزلة الاله وانه يعلم الغيب وانه نبي مرسل امازعهم انه اله فيظهر في افعال دعاةهم واقوالهم وأشعارهم فقد كان هناك رجل يدعى احمد البلوى النحاس يصلي الى رقاداة أيام كون عبيد الله بها وهي منه الى المغرب فلما تنقل الى المهديّة وهي منه الى الشرق صلى اليها⁴، باعتبارها مثل مكة المكرمة وهذا الاعتقاد كان سائدا عند كثير من الناس يومها فهذا احد الشعراء بني عبيد يقول في المهديّة بعد انتقال المهدي اليها :

¹ براهيم التهامي: المرجع نفسه، ص 440.

² ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 185.

³ المالكي ابي بكر عبد الله ابن محمد: رياض النفوس، ج 2، ط 2، تحقيق ، بشير الكوش، دار الغرب الاسلامي ، 1994 م، ص 152.

⁴ ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص ص 258-259.

لقد عضمت بأرض المغرب دار
 هي المهدية الحرم الموفى
 بها الصلوات تقبل والصيام
 كما بتهمة البلد الحرام
 كأن مقام ابراهيم فيه
 ترى قدميك ان عدم المقام
 وان لثم الحجيج الركن الأضحى
 لنا بعرض قصركم التثام
 لك الدنيا وضلت حيث كنتم
 فكلكم لها ابد امام

كما زعمو انه يعلم الغيب فيظهر هذا من إيمان بعضهم حيث كان اذا اقسام يقول "وحق عالم الغيب والشهادة مولانا الذي برفادة"¹.

3- التسلط والجور واعدام كل من يخالف مذهبهم وطعنهم في الصحابة وتعليق رؤوس الاكباش الدالة في زعمهم على اسماء الصحابة

4- منعو الفتوى بمذهب مالك وقصروها على مذهب اهل البيت²، كما منعو تعليم أصول الشريعة على مذهب أهل السنة ومنعوا القاء الدروس في المساجد إلا دروس اللغة العربية وماليس له مساس بالعقائد الامر الذي جعل العلماء يركنون الى تدريس تلامذتهم تلك العلوم في بيوتهم ودكاكين حرفهم يقول الدباغ " كان ربيع القطان ملتزما الاقراء في الحانوت الذي يبيع فيه القطن وفيه كان يأتيه من يدرس عليه الطلبة أو من يسأله ويستفتيه"³.

5- فرض المهدي على الخطباء ان يدعوا له على المنابر بقولهم " اللهم صلى على عبدك وولييك وخليفتك العالم بأمر عبادك في بلادك ابي محمد عبيد الله المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على ابائه خلفائك

¹ ابن عذارى: نفسه، ص 221.

² الذهبي: المصدر السابق، ج 14، ص 216.

³ الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص 30.

الراشدين المهديين الذين قضوا بالحق كانوا به يعدلون اللهم وكما اصطفتيه لولايتك واخترتته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعماد ولبريتك موكلا وملاذا فانصره على اعدائك المارقين وافتح له مشارق الارض ومغاربها كما وعدته على العصاة الضالين انك انت الحق المبين¹

ج- بدع المتصوفة :

بدا الانحراف أول ما بدأ بالتعمق في العبادة والمغالاة فيها وإجهاد النفس بكثرة العبادة من صلاة وصيام وقراءة القرآن وذكر وقلة أكل وتبتل وامتناع عن المباحات والمبالغة في ذلك ورعا وترهدا وتقربا الى الله² ، على حسب ضنهم فهذا ابو حفص ابن عبد الله الفتال³ ، جعل على نفسه الا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ابدا ولا يأكل سمينا أبدا فيما روي فعل ذلك حتى مات⁴ ، وهذا أبو السري واصل العابد الجمي⁵ ، أقام أربعين سنة لم يدخر شيئا فاذا أجهد خرج فأكل من الأرض ثم عاد الى مصلاه⁶ .

ثم ظهرت المبالغات والاساطير الذي بدلت تحوم حول هؤلاء الزهاد وكثرة عبادتهم فيذكرون من كان منهم يجتم القرآن مرات عديدة في ليلة واحدة كما جاء في ترجمة أبي عبد الله محمد ابن نصر المتعبد الذي توفي سنة 301هـ انه كان يجتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات وفي بعضها خمس ختمات⁷ ، ومن المبالغات الغير المعقولة ايضا ما ورد في ترجمة بعضهم انه كان يقوم الليل بخمسائة ركعة كما جاء عن ابي الفضل يوسف ابن مسرور الزاهد الفقيه انه كان يقوم الليل بخمسائة ركعة يجتم فيها القرآن⁸ .

¹ لسان الدين ابن الخطيب: اعمال الاعلام، القسم 3، تحقيق، احمد المختار العبادي، و محمد ابراهيم الكتاني، زدار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص51.

² ابراهيم التهامي: الرجوع السابق أج2، ص542.

³ ابو حفص عمر ابن عبد الله الفتال ، صاحب سحنون كان من العباد ، المالكي: المصدر السابق، ج1، ص197-198.

⁴ نفسه .

⁵ هو ابو السري واصل ابن عبد الله الجمي كان من اهل الزهد والعبادة توفي سنة 252هـ، عياض: ترتيب المارك، ج2، ص100-104.

⁶ نفسه .

⁷ الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص13.

⁸ المالكي: المصدر السابق، ج2، ص234-250 .

كما ان المتصوفة امتنعوا عن الزواج لأنه فيه الهاء عن عبادة الله وهم متأثرون في ذلك بالنصارى الزهد .
وكان رباح ابن عمرو القيسي العابد¹ . يقول " لا يبلغ احد منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة"²

وينقل ابن الجوزي عن ابي حامد الغزالي قوله " ينبغي الا يشغل المرید نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن شغل لغير الله تعالى شغل عنه الله تعالى"³.

و تمدى الصوفية في الغلو حتى وقعوا في المحذور من القول لرؤية الله حقيقة الى غير ذلك من البدع التي وقعوا فيها ومن ذلك يقول ابن عربي " نجت في آثارهما أمم انتسبت الى الصوفية وكان منها من غلا وطفق فكاد الشريعة وحرف وقالو: لا ينال العلم الا بطهارة النفس وتركية القلب وقطع العلائق بينه وبين البدن وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلط والإقبال على الله بالكلية علما وعملا مستمرا حتى تتكشف له الغيوب فيرى الملائكة ويسمع أقوالها ويطلع على أرواح الأنبياء ويسمع كلامهم ووراء هذا ينتهي الى القول بمشاهدة الله علنا يدخلونه في باب الكرامات "⁴، كما كان الاجتماع بسيدنا الخضر شرط من شروط الصالحين في ذلك الزمان وكان الولاية لا تحصل الا بملاقات الخضر والاجتماع به فورد عن عيسى ابن مسكين⁵، انه كان يجتمع بالخضر عليه السلام وقال هو عن نفسه اجتمعت بالخضر مرتين.⁶

الا ان قاصمة الظهر جاءت عندما اختلط التصوف بالفلسفة عند ذلك انتقل التصوف من كونه مجرد سلوك عملي الى تأملات عقلية فلسفية وانتقل من الطور الزهدي الى الطور البدعي الفلسفي والتي ظهرت

¹ هو ابومهاجر رباح ابن عمرو القيسي العابد زاهد مبتدع ، لذهبي شمس الدين محمد ابن احمد ا: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ج 3، ط1، تحقيق نعاذل احمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1995م، ص 91-92.

² الأصفهاني: المصدر السابق، ج 6، ص 192.

³ ابن ابي الفرج ابن الجوزي: المصدر السابق، ص 286.

⁴ ابي بكر ابن العربي المالكي: العواصم من القواصم ج 2، ط 6، تحقيق، محب الدين ابن الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة مصر ، 1990 م، ص 30.

⁵ هو عيسى ابن مسكين ابن منصور البن جريح ابن محمد الافريقي توفي سنة 275 هـ ، عياض ترتيب المارك ، ج 2، ص ص 212-228.

⁶ نفسه .

ثمارة كاملة في مذهب ابن عربي الطائفي وصار علم الشريعة كما قال ابن خلدون " على صنفين صنف بالفقهاء واهل الفتيا وهي الاحكام في العبادات والعبادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الذواق والموجد المعارضة في طريقها وكيفية الترقى فيها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك " ¹.

د- بدع المعتزلة :

كانت تدور حول قضايا القرآن وصفات الله تعالى والقدر وغيرها من القضايا التي ابدعها المعتزلة وتجدد الاشارة الى ان المغرب لم يعرف كل الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهب المعتزلة وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمترلة بين المترلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما عرف أهم القضايا التي تشعبت عن الأصل الأول الذي هو التوحيد كمسائل خلق القرآن والأسماء والصفات كقضية الجبر والاختيار التي تفرعت عن الأصل الثاني الذي هو العدل وقد حاولوا جاهدين بث هذه القضايا في المغرب ².

وأول قضية اثرت في المغرب هي مسألة القدر حيث شهدت مناظرات عديدة بين علماء السنة المالكية والمعتزلة وهذه إحدى المناظرات بين علي ابن زياد السني وابو محرز المعتزلي حيث قال ابن زياد " يا ابا محرز ما الذي اراده الله سبحانه وتعالى من عباده ؟ فقال الطاعة وما الذي اراده ابليس منهم ؟ فقال المعصية فقال وأي الارادتين غلبت ؟ فقال ابو محرز اقلني أقالك الله فقال له علي ابن زياد لا أقيلك حتى تتوب من بدعتك وقد كان ابو محرز من كبار المعتزلة في المغرب واشتهر بقوله سجود ابليس لعنة الله عليه ³.

والمسألة الاخرى التي اثيرة هي مسألة صفات الله تعالى فقد اورد الخشني في طبقاته تلك المناظرة التي جرت بين ابن حداد وبين سليمان الفراء المعتزلي حيث سال سليمان الفراء ابن حداد يوما بقوله :يا ابا عثمان اين كان ربنا اذ لامكان ؟ فأجاب ابن الحداد :السؤال محال فقولك اين كان يقتضي المكان وقولك اذ

¹ براهيم التهامي :المرجع السابق،ج2،ص ص 568-569.

² نفسه ،ج2،ص 326.

³ المالكي : المصدر السابق ،ج1،ص 234.

لامكان ينفي المكان فهذا نعم لا قال سليمان فكيف كان ربنا اذ لامكان ؟ فأجاب ابن الحداد وهذا السؤال صحيح ثم قال الجواب انه الآن على ما عليه كان ولامكان ¹ .

واكبر بدعة و اعظمها ، بدعة ابي بكر محمد ابن موهب التيجي الحصار المعروف بالقبرى ² ،الذي اشتهر بالكلام والجدل وكان عند عودته من رحلته المشرقية قد تناول موضوعات غريبة عن أهل المغرب مثل القول بنبوۃ النساء وبصحة نبوة مريم عليها السلام وبجواز بقاء الخضر ابد الأبدین فقام عليه علماء المغرب المحدثين أمثال ابن عون الله شيخ المحدثين ³ و ابي عمر الطلمنكي وغيرهما فحرت بينهم وبينه فتن بسبب هذه المسائل التي اثارها واغرو به هو وجماعته من أصحابه الى العدة حيث بقي مدة ثم رجع ⁴ ولا يسعنا الا ان نختتم بدع المعتزلة الكثيرة ما ذكره ابو عمر الداني حيث انتظمهم في قصيدة طويلة واعلن زيفهم وانحرفهم وبين مذهب اهل السنة في القرآن وانه كلام الله المتزل من عند الله ليس بمخلوق وخالق حيث يقول :

والقول في كتابه المفضل	بأنه كلامه المتزل
على رسوله النبي الصادق	ليس بمخلوق ولاخالق
من قال فيه انه مخلوق	او محدث فقوله مروق
والوقوف فيه بدعة مضلة	ومثل ذلك اللفظ عند الجلة

¹ الخشني : المصدر السابق ، ص199.

² هو ابي بكر محمد ابن موهب التيجي الحصار المعروف بالقبرى القرطبي جد ابي الوليد الباجي أخذ من علماء بلده واخذ عن ابي زيد القيرواني و ابي عمران الفاسي توفي سنة 400هـ ، الحميدي :المصدر السابق ،ص 92.

³ هو ابو جعفر احمد ابن عون الله ابن حدير القرطبي رحل وسمع بمكة من ابن الاعرابي وسمع بمصر وكان شيخا صالحا متشددا على اهل البدع توفي سنة 378 هـ، ابن الفرضي لي الوليد عبدالله محمد :تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، ج1، ط2، مطبعة المدني ،القاهرة،مصر ،1988م ،ص ص 67-68.

⁴ عياض : ترتيب المارك ، ج2، ص ص 675-676.

وهي آيات تكشف عن مدى الكره والبغض الذي يكنه أهل السنة لأهل الأهواء والبدع.¹

وكان بملول ابن راشد يرفض مصافحة من عرف بآرائه الاعتزالية إلا إذا رجع من رأيه ولا يرد على واحدا منهم بتحية إلا من بعد أن يستتبه ويظهر ذلك في موقفه من القاضي أبو محرز عندما استقبله وأراد أن يسلم عليه فرفض بملول أن يصافحه حتى يرجع عن رأيه²، ومن الفقهاء الذين كانوا يعادون الاعتزال أسد ابن الفرات كان يتشدد مع العامة الذين يقولون بخلق القرآن وظهر هذا في مجلسه عند تفسيره الآية (أني انا الله لا اله الا انا فعبدوني) فتعجب أسد بشدة القول وقال ” ويح أهل [الأهواء] والبدع ! هلكت هوالكهم ! يزعمون ان الله خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق : اني ان الله ... ” . وضل أسد ابن الفرات يقاوم الاعتزال وأصحابه، ومنهم سليمان ابن الفراء لرفضه رؤية الله عز وجل يوم القيامة فضربه أسد وطرده من مجلسه ومنعه من الحضور مرة أخرى.³

¹ براهيم التهامي: المرجع السابق أ ج 2، ص 344-346.

² نجم الدين الهنتاني: الصراع المذهبي، مجلة التاريخ العربي، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، عدد 10، ص 207.

³ محمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب، دار الوفاء، القاهرة، مصر، 1984، ص 255.

ثانيا : بدع المنظومة الاجتماعية

أ: بدع المواسم والاعیاد

من البدع المواسم والاعیاد بدعة بداية السنة الهجرية او ما يعرف عند الفقهاء بدعة أول محرم فكانت لكل بداية سنة هجرية تحتفل بعض الدول الاسلامية بعيد رأس السنة وليس لاحتفلهم اي سند شرعي وانما هو حب التقليد والمبشاهة لليهود والنصارى في احتفالاتهم وأول من احتفل برأس السنة الهجرية حكام الدولة العبيدية فقد ذكر المقرئزي في خططه ضمن الأيام التي كان العبيديون يتخذونها أعيادا ومواسم قال : " مواسم رأس السنة وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم في كل عام لأنها أول ليالي السنة وابتداء أوقاتها " ¹.

ولايسعنا البحث في ذكر كل البدع المتعلقة بأول محرم فمن البدع ماكانو يقومون به المغاربة من شراء اللبن في أول ليلة من شهر محرم بحيث يزعمون ان شراء اللبن وتناوله في تلك الليلة سيكون سبب بأن تكون سنتهم كلها بيضاء فيقول ابن الحاج ابو عبد الله العبدري " فمن ذلك شراؤهن اللبن في أول ليلة من شهر محرم وهي أول ليلة من السنة فيزعمن ان ذلك تفاعل بان تكون سنتهم كلها بيضاء وهذا منهم بدعة وباطل اما البدعة فاتخاذهم ذلك عادة وهو مخافة لما مضى عليه السلف " ².

وهذا الاحتفال قد اتخذ اشكال عديدة من العادات والتقاليد البدعية في مختلف انحاء العالم الاسلامي كما سبق وان ذكرنا و اختص المغرب باحتفال بنوع خاص وهو الاحتفال بيوم يناير وهي كلمة امازيغية تشير الى الشهر الاول من السنة حسب التقدير الشهري وهذه الكلمة قد اتخذت تعابير مختلفة حسب اللغة الامازيغية

¹ المقرئزي تقي الدين ابي العباس احمد: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1997م ص 490.

² ابن الحاج العبدري : المصدر السابق ، ج1، ص218.

واللغة العربية العامية مثل يناير أنابر... الخ¹، وكانت تصادف يوم 12 و13 من شهر جانقي فكان يسمى اليوم الاول، يوم نفقة الكرموس والثاني نفقة اللحم ففي اليوم الأول تعجن الأمهات قرص من الخبز وتثبت فوق كل قرصة بيضة تشيكها بالعجين حتى لا تسقط وبعد ذلك تعجن الفطائر المعروفة عندنا بالسفنج

اما الآباء فيشترون الثمار اليابسة من كرموس وتمر وزبيب وجوز ولوز ورمان وتفتح.. الخ وفي المساء يقام عشاء بالفطائر المعجمة في العسل والثمار اليابسة²، وارتبطت هذه الاحتفالات بعدة أساطير³، فكان هذا اليوم مليئاً بالتفاؤلات والتطيرات وفيه العديد من المحرمات ففي هذا اليوم لا ينبغي إيقاد النار وإعارة الملح او العجين او أواني المطبخ كما لا يدخل في هذا اليوم مكنسة جديدة فان ذلك يوشك ان يكون فيه طرد للرزق كما تركز ربة البيت الا تحرق الفطائر لان ذلك يعتبر نذير شؤم⁴.

اما الدليل على بدعية هذا الاحتفال ماورد في المعيار للونشريسي نقلا فتوى الفقيه ابو الاصبع عيسى ابن محمد التميلي الذي سئل عن ليلة يناير باجتهاد الناس لها في الاستعداد ويجعلونها كأحد الأعياد ويترك النساء والرجال أعمالهم صبيحتها تعضيما لليوم كما يتهادون بينهم صنوف الطعمة وغيرها وذلك بدعة محرمة أم هو مكروه ليس بالحرام فقال أبو الأصبع " قرأت كتابك هذا ووقفت على ماعنه سألت وكل ماذكرته في كتابك فمحرم فعله عند أهل العلم"⁵.

اما في الأعياد الشرعية كعيد الفطر وعيد الأضحى فقد أعطى ابن الحاج العبدري صورة واضحة ماكان يقام من أفعال بدعية قوله " ما اعتاده بعض بنات العيد وفيهن الابكار والمراهقات وغيرهن اللاتي يخرجن

¹ Laoust . e : motet choses berberes , par ls 1920 p31.

² محمد ابن رمضان شاوش : باقة السوسان في التعريف بمحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1995م،ص 378-379.

³ للاطلاع على هذه الاساطير ،انظر :محمد أرزقي فراد :ازفون تاريخ وثقافة ط1،دار الامل للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2003 م،ص 234.

⁴ ديموند ديستان ،بني سوسن في النصف الاول من القرن العشرين ،ترجمة محمد حمراوي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ، 2011 م،ص 83.

⁵ الونشريسي : المصدر السابق ،ج ،ص ص 150-151.

على الصفة المعلومة المخلفة للشرع الشريف ظاهرات بذلك على رؤوس الاشهاد وما يفعلنه من الغناء والدفوف وغير ذلك في الطرق والاسواق ودخولهن البيوت على بعض العلماء وغيرهم وقد يفتن بمن كثير من الناس ويسكت هن العالم وغيره ولاينكرون عليهن ذلك ..¹

ويضيف " وفي ليلة العيد من البدع سهر الناس فيهما اولى بعضهما لا للعبادة بل للشغل بزخارف الدنيا ومشاكلها واضاعة المال بصقل القماش الذي يفضي الى تقطيعه وترك احياء الليلتين الشريفتين بعبادة سبحانه وتعالى² ،بالاضافة الى شراء حلوة الخشكان حيث ان صناعة هذه الحلوة فيها شئ من الانحراف كونها يبخونها بماء الورد حيث يفعلون ذلك وهم صيام وحال فم الصائم كما قد علم ، فيعرض الصائم نفسه للفطر وان سؤ اليهودي والنصارى مكروه ان لم يعلم ان في افواههم نجاسة في وقت الفعل لذلك او كانت قبله ولم يطهر فمه³ .

وفي يوم عاشوراء الذي ارتبط بالعادات الشيعية التي تجذرت في المجتمع الى يومنا هذا ، كان يختص بذبح الدجاج وطبخ الحبوب بالاضافة الى استعمال الحناء ومحرم هن الكتان وتسريحه وغزله وتبييضه ويشلنه ليخطن به الكفن ويزعمون ان منكر ونكير لاياتيان من كفن اختط بذلك الغزل واورد ابن الحاج بدعة اخرى بقوله " وانما احدثو -يوم عاشوراء- فيه من البدع البخور فمن لم يشتريه منهم في ذلك اليوم ويتبخر به فكأنه ارتكب امرا عظيما وكونه سنة عندهن لابد من فعلها وادخارهن لها طوال السنة يتبركن به ويتبخرن الى ان يأتي مثله يوم عاشوراء الثاني ويزعمون انه يبخرون به المسجون خرج من سجنه وانه يرى من العين والنظرة والمصاب والموعوك وهذا امر خطر "⁴ .

¹ ابن الحاج : المصدر السابق ، ج1، ص ص 286-287.

² نفسه ، ص 288.

³ نفسه

⁴ نفسه ، ج1، ص 201.

كما كان هناك مواسم ينسبونها للشرع وليست منه بشيء مثل أول ليلة من شهر رجب فيتكلمون فيه بنفقات والحلاوات المحتوية على الصور المحرمة شرعا ، وأول ليلة جمعة من شهر رجب يصلون في تلك الليلة في الجوامع والمساجد صلاة الرغائب ويظهرونها في المساجد الجماعات كأنها صلاة مشروعة، وفي ليلة نصف شعبان شهدت الكثير من التبذير فيروي ابن الحاج العبدري قصة ابو محمد القشتالي قوله " وقد وقع بمدينة فاس انهم اوقدو جامعها الاعظم فزادو في الوقود الزيادة الكثيرة فحاء الشيخ الجليل ابو محمد القشتالي رحمه الله الى صلاة العشاء على عادته فرأى ذلك فوق ، ولم يدخل فقبل له الا تدخل فقال والله لا اخل حتى لا يبقى في المسجد الا لثلاثة قناديل او خمسة أو كما قال فامثلوا اذ ذاك قوله حينئذ دخل .." ¹.

كما اعتبرت ليلة المولد النبوي الشريف ليلة مقدسة لدى المغاربة بشدة تمسكهم والاحتفال بها فقد اجتمع الفقهاء في ذلك الوقت على بدعتها وأول من احدث هذه البدعة هم الفاطميين على حسب اطلاعي بحيث في عام 362هـ ، تولى المعز لدين الله الفاطمي الحكم وقام بتعظيم قوي للاحتفال بالمولد النبوي الشريف ² ، ولم يسبقهم احد الى ذلك وهذا بشهادة المقريري في خططه ³ ، وتكمن البدع في الغلو في الاحتفال واستعمالهم المغاني ومعهم الآلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة ⁴

كما كانت الكتابيب يوقدون الشمع واجتماع الطلاب يقرأ بعضهم عشر من القرآن ثم ينشدون قصيدة مدحية وقد أكد الشيخ احمد القباب على بدعتها ⁵.

¹ ابن الحاج : المصدر نفسه ، ج1، ص ص 201-207.

² عبد الله حمادي : دراسات في الادب المغربي القديم ، ط1، دار البعثة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1986م ، ص ص 215-218.

³ المقريري : المصدر السابق ، ج2، ص 490.

⁴ ابن الحاج : المصدر السابق ، ج2، ص 12.

⁵ الونشريسي : المصدر السابق ، ج1، ص 48.

ب: بدع المآتم

اعتبر الموت حدث اجتماعي هام مع انه حدث مؤلم لم يخلو من مظاهر الاحتفال وارتبط بالكثير من العادات البدعية التي تشابهت عند المسلمين في جميع بقاع المعمورة كما ونقصد ببدع المآتم بدع الجنائز فقد عرف المغرب الاسلامي الكثير من البدع في هذا الجانب التي يمكن ان نحصر اهمها في النقاط التالية :

- 1- نعي الميت من المنابر حيث افتي احد الفقهاء بقبحه بقوله " فالواجب التقدم فيه بالنهي عنه والمنع منه لقبحه بفعله في الصوامع التي لم يشرع فيها الاعلان بالاقامة شرائع الصلوات "
- 2- عشاء القبر في اليوم السابع للميت فكان البعض يفعله كأنه مفروض عليهم من الناحية الشرعية فهذه بدعة وكان البعض يفعله قصد الدعاء له والترحم عليه فكانت هذه الصفة مستحسنة عند الفقيه ابو سعيد ابن لب¹. كما ذكر ابن الحاج قوله " فما بالك بما اعتاده بعضهم في هذا الزمان من أن أهل الميت يعملون الطعام ثلاث ليالي ويجمعون الناس فاليحذر من ذلك فانه بدعة مكروهة ولا يباس بفعله للصدقة عن الميت للمحتاجين " .²
- 3- ايقاد السراج او القنديل في الموضع الذي مات فيه الميت ثلاث ليالي من غروب الشمس الى طلوعها وعند بعضهم سبع ليالي كما يفعلون هذا في الموضع الذي غسل فيه الميت كما يضعون حجرا في الموضع الذي مات فيه الميت ويجعلون عليه سرجا يوقد الى الصبح .³
- 4- ثياب الميت لا تغسل الا في اليوم الثالث فهذا من منطوق تفكيرهم ان ذلك يرد عنه عذاب القبر كما ان الموضع الذي غسل فيه الميت يوضع فيه رغيف ثلاث ليالي بعد موته .
- 5- لا يأكل أهل الميت حتى يفرغو من دفنه بالاضافة انه اذا رجعو الى البيت من الدفن لا يدخلون البيت حتى يغسلوا اطرافهم من اثر الميت

¹ الونشريسي : المصدر نفسه ،ج1،ص317.

² ابن الحاج : المصدر السابق ،ج3،ص276.

³ نفسه

6- كما ان الذي حضر او كان الى جانب الميت عند خروج روحه لا يعمل شغلا حتى تمضي عليه سبة ايام واذا عطس احدهم على الطعام يقولون له كلم فلانا او فلانة ممن يجب من الاحياء باسمه ويعللون ذلك ألا يلحق بالميت¹.

اما فيما يخص زيارة القبور فقد كان خروج أهل الميت الى القبر فكان منهم من يبني دار أو خيمة الى جانب القبر فقد حرم الفقهاء هذا من منطلق ان لا بد للدار من بيت خلاء واستعمال المياه فاذا اقاموا هناك نزلت تلك الفضلات الى الميت فتجسده وكان المقصود من بناء السكن عند القبر لاستئناس الميت فمنهم من يقيم الشهر او الشهرين والثلاثة الى غير ذلك²، كما كانت تبني البيوت على المقابر فقد افتي ابن رشد بوجوب هدم ما بنى من مقابر المسلمين من السقائف والقبب والروضات³.

وما يفعلنه النساء في زيارة القبور في ركوبهن الدواب في الذهاب والرجوع بحيث كان ينقلوهن المكارى فيقوم بتحضير المرأة في اركانها وانزالها وحين مضيهم يجعل يديه على فخذيها وتجعل يدها على كتفه كما كانوا يمشون في الليل مع الرجال في زيارة القبور مع كثرة الخلوات هناك وكشف وجوههم بالاضافة الى كل هذا قراءة القرآن على القبور فيقول ابن الحاج "وقد سمعت ابا محمد رحمه الله يقول ان قراءة القرآن على القبور بدعة وليست سنة وان مذهب مالك الكراهة"⁴

واخراج الميت الصالح بالزغاريت فقد سئل بعض التونسيين عن اخراج الميت الذي يضمن صلاحه بالولاول والزغريت . فأجيب بأنه بدعة ينبغي ان يأمر بقطعها⁵.

¹ ابن الحاج : المصدر نفسه ،ج3،ص ص 276-278.

² نفسه ،ج1،ص ص 251-252.

³ الونشريسي : المصدر السابق ،ج1، ص 318.

⁴ ابن الحاج : المصدر السابق ، ج1، ص 267-268.

⁵ الونشريسي : المصدر السابق ،ج1،ص 334.

كما صاحب حدث الموت بعض العادات والتقاليد البدعية التي سارت عليها جل الأسر في عهد الموحدين ومنها ان الرجال كانوا يقفون لتقبل التعازي في حين تحيط النسوة بالميت يندبنه ويكيين عليه.¹ ومنهن من اقدمت على لطم خدودها والصراخ²، لذلك طلب بمنعهن بالإضافة الى الكثير من البدع التي تقبلها الناس وسارو عليها وفيها ماستهجنوه وانكره الفقهاء وحاربوه لما فيه من مخالفة لاحكام الشريعة الإسلامية وأغلب هذه البدع توارثتها الناس جيلا بعد جيل ومنها من هو باقي الى اليوم

3-بدع العادات والتقاليد

عاش سكان المغرب الاسلامي تنوعا في عاداته وتقاليده وعرفه التي تداولتها جيلا بعد جيل ومن هذه التقليد والاعراف ما كان معروفا و متداولا في المنطقة منذ القديم ومنها ما اكتسب بدخول الاسلام الى المنطقة واعتناق أهل البلاد له ومنها من كان نتيجة للتأثر الحاصل على الاحتكاك بسكان المناطق المجاورة ومنها من كان نتيجة لظروف سياسية ودينية مرت بها المنطقة وتركت أثرها³، هذه العادات حملت معها الكثير من البدع فقد سماها ابن الحاج بالعوائد الممقوتة ويعتبر ابن الحاج الوحيد الذي أحصاها في كتابه المدخل في تنمية الاعمال بتحسين النيات ومن أهمها مايلي

- مايفعله بعضهم من البدع في ختم القرآن قال الطرطوشي رحمه الله "فقد نهي مالك ان يقضي احد بالدعاء في رمضان دعاء ختم القرآن " وحكى ان الامر المعمول به في المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء بالاضافة الى قراءة القرآن في الأسواق والطرق وكان البعض يقوم بالاحتفال بضرب الطبل والابواق والدف وبعضهم الطار والشبانة عند ختمهم للقرآن⁴.

¹ ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م، ص 108.

² الونشريسي: المصدر السابق، ج5، ص 419-420.

³ شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الاسلامي في عهد الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز محمود لعرج، السنة الجامعية 2007-2008. جامعة الجزائر كلية العلوم الانسانية والاجتماعية نقسم التاريخ، ص 125.

⁴ ابن الحاج: المصدر السابق، ج2، ص 299-302.

- كما كانت هذه العادات لا تخلو من الطيرة ومن ذلك ما كانوا يفعلونه في فصل الربيع من خروج الرجال والنساء والشبان مختلطين أقارب وأجانب فيجمعون شيئا من نبات الارض يسمونه بالكر كيش - نوع من البابونج - فيقطعون ذلك من موضعه بالذهب والفضة والخواتم النفيسة والاساور وغير ذلك من الحلبي ويتكلمون عند قطعه بكلام اعجمي يحتمل ان يكون كفرا ويخلطون تلك الحشيشة بالزعفران ويزعمون ان ذلك مادام في ذلك البيت يكون سببا لإكثار الرزق عليهم واستغنائهم في تلك السنة.¹

- ومن العوائد التي كانت مخالفة للشرع مما أحدثه بعض النساء من أن المولود اذا جاثو الى قطع السرة جمعو عنده كل مولود يحتاج الى دخول تلك البيت الذي تقطع فيه سرة المولود فحينئذ تقطع القابلة سرة المولود ويزعمن ان من لم يحضر من الصغار عند قطعها ودخل بعده تحول عيناه او يبقى يبكي كثيرا وكذلك ما حدث في ليلة السابع وهو ان يكون عند رأس المولود الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة من السكر ومن كان فقيرا يأخذ من كل واحدة من ذلك شيئا ما ، فإذا كانت صبيحة تلك الليلة فرقن كل ما اجتمع عند رأسه فكان من منطلق تفكيرهم أن بركة لمن يأخذه وأنه ينفعه من الصداع ويعلن ذلك أيضا ان الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود حتى موته وكان المولود يعصب بالزعفران يكتبون فيها سورة ياسين او غيرها من القرآن ويعصبه بها في اليوم السابع من ولادته وجعل السكين التي قطعت بها سرته عند رأس ما دامت أمه جالسة عنده فإذا قامت حملتها معها وتفعل هذا مدة أربعين يوما وهذا حسب اعتقادهم بأن لا يصيبها شيء من الجان.²

كما نرى العديد من الانحرافات في المغرب الاسلامي في العصر الوسيط في مسألة زيارة الأولياء والصالحين الذين ادعو الصلح وهم من اهل البدع حيث يقول ابن الحاج " وفقد رأين بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس نحو ثلاثة ايام او اربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شيء يستره، وهذا امر شنيع في الدين وقلة حياء"³.

¹ ابن الحاج : المصدر نفسه ، ج1، ص280 .

² نفسه ، ج3، ص ص 290-291.

³ نفسه، ج2، ص ص 139-140.

ثالثاً: انعكاساتها

أن الدارس للانحرافات العقديّة في فترة العصر الوسيط في المغرب يجزم بأنّه لا بدّ أن تتمخض تلك الانحرافات السيّئة آثار خطيرة في حياة الأمة الإسلاميّة، وقد رأينا عظم هذه الانحرافات الدينيّة و انتشارها و طغيانها على حياة المسلمين فضعف العقيدة الصحيحة، و اتّسع الفكر الارجائي و محاولة القضاء على عقيدة الولاء و البراء من قبل بعض الحكّام، و نفّسّي الشرك الأكبر بعبادة الأولياء و بناء الأضرحة و القباب و هيمنة الصوفيّة بطرقها و طقوسها المبتدعة على حياة النّاس، و تفاقم حدّة التعصّب المذهبي و رفض فتح باب الجهاد، و ازدياد نشاط الفرق الباطنيّة في حرب المسلمين و التآمر عليهم مع أعدائهم من اليهود و النصارى و الوثنيين، و أخيراً تقصير علماء المسلمين في أداء واجبهم، و ابتعادهم عن قيادة الأمة، و كلّ ذلك المزيج المهائل من الانحرافات أو البدع كان له تلك الآثار الخطيرة في حياة الأمة.

فيخطئ الكثير من المفكرين خطأ فادحاً حيث ينظرون الى هذه الآثار المدمّرة على أنّها أسبا انحطاط الأمة، و أنّه اذا تمّ القضاء على تلك الآثار نهضت الأمة و عادت قويّة من جديد و يتجاوزون أو يغفلون النظر الى الأسباب الحقيقيّة التي تمثّلت في الانحرافات العقديّة و البدعيّة¹.

و لا شكّ أنّ للبدع آثار تظهر في المجتمعات تقرّ تلك البدع و لا تنكرها، و ليست هذه الآثار تشمل المجتمع كلّهُ، بل تخصّ من يقرّ بالبدعة أو يدعو إليها و يرغب النّاس فيها، و من يقبل ذلك منهم من النّاس، و تظهر هذه الآثار جليّة على أفراد المبتدعين و مبتدعيهم، الذين هم جزء من المجتمع، و عدم الإنكار عليهم و محاربة بدعهم يجعل هذه الآثار تشمل المجتمع ككلّ، هذه الآثار على سبيل الإيجاز هي (2).

1- في الجانب السياسي نجد ركون الحكّام الى ملذّاتهم و دنياهم و أهملوا أمر الأمة فتفشّت مظاهر الشرك و البدع و الخرافات في حياة المسلمين و شغلت أوقاتهم بإحياء الموالد و هيمنة الأضرحة و القبور على حياتهم و

¹ عليّ بن بخي: الانحرافات العقديّة و العلميّة في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر الهجريّين و آثارها في حياة الأمة، جامعة أمّ القرى مكّة المكرّمة، كليّة الدعوة و أصول الدين، فهم العقيدة رسالة لنيل درجة ماجستير. عام 1992م، ص 430.

² عبد الله بن عبد العزيز: البدع الحولّيّة، ط 1، دار الفضيلة للنشر و التوزيع، الرياض، السعويّة، 2000م، ص 75.

تفاخروا بها، و تعلقوا بالكرامات و الخوارق عن تغيير الواقع و أهملوا العلوم الكونيّة و الأخذ بالأسباب فإنّاتهم ذلك الضعف السياسي الرهيب، و مشوا في ذلك الانحطاط العسكري و الحربي¹، فقد ضعفت الأنظمة السياسيّة في المغرب من جرّاء تعدّد المذهبيّة فقد شهدت قيام عدّة دول مستقلّة مختلفة المذهب تتناحر فيما بينها ممّا أدّى الى سقوطها في آخر المطاف من الأندلس الى غاية القيروان الواحدة تلو الأخرى على يد الأوروبيين².

2- الضعف الإقتصادي فقد كان لزوما من سوء الأحوال الدينيّة عند المسلمين و تفاقم الانحرافات العقديّة في حياتهم أن يفشي الضعف الاقتصادي حياة التّاس و أن تندهور الأوضاع الاقتصاديّة، فالصوفيّة مثلا التي سيطرت بعقائدها الباطلة و طقوسها المبتدعة كان لها أكبر أثر في اتّساع هوة الضعف الاقتصادي، و يعرف أنّ الشخص القاعد عن العمل و الكسب بل عن أيّ نشاط دنيوي و المتفرّغ بالكليّة للذكر الصوفي في زاوية أو مسجد أو خلوة أو مغارة فقد كان ينظر اليه بالإعجاب و الإكبار و الهيبة، و يحاط بهالة و قداسة و يكون مثلا و قدوة يتمنّاها الكثيرون، فإنّ جموع الفقراء و الذين أسهموا بشكل عظيم في ارتفاع معدّل البطالة، و انخفاض الانتاج كانوا عند الحكّام و المحكومين هم أهل الله و خاصّته يتسابق إلى الإغداق و النفقة عليهم أرباب المال و الجاه و الشراء ممّا جعل التصوّف ينتشر و البطالة تتفشّى و الضعف الاقتصادي يستشري³.

- الضعف الاجتماعي و الأخلاقي فقد زاد هذا الضعف الذي تطرّق الى المجتمع و الأخلاق من انحرافات على رأسها الشرك الأكبر المتمثّل في عبادة الأولياء و الأضرحة، و هيمنة الصوفيّة بطقوسها و عقائدها على حياة التّاس و اشغال التّاس بالبدع و الخرافات، و ازدياد التعصّب المذهبي، و ان أضفنا الى ذلك ما جبل عليه التّاس من ضعف و تفلّت ازاء ما أمر به من تكاليف و أوامر مع قلة التذكير من جانب العلماء نجد أنّ كلّ

¹ علي بن يحيى: المرجع السابق، ص 146.

² موسى القبال: المغرب الإسلامي، ط 2، الشركة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص 176.

³ عليّ ابن يحيى: المرجع السابق، ص 449.

ذلك على توالي القرون كان يعمل على إضعاف الجوانب الاجتماعية والأخلاقية¹، فاتباع الهوى، و مفارقة أهل البدع الجماعة و اشاعة الضلالة بين جموع الناس و يدعون اليه قولاً و عملاً بالحجة الباطلة أدى الى الاستمرار في البدع و عدم الرجوع عنها².

كما أوضح الونشريسي من خلال بعض النوازل و الفتاوى الفقهية الكثير من مظاهر الفساد في المجتمع المغرب الاسلامي كان سببها الانحرافات البدعية من سرقة و أكل الرشاوي و الزنا و غيرها³.

4- الضعف و الانحلال الديني فقد أدت هذه البدع مع ظروف القهر الاقتصادي و الاجتماعي و الواقع السياسي المجال أمام ظهور أشخاص انتحلوا النبوة كإبن محمد الكتاني المعروف بابن الطواجن، في عهد الموحدين بجبال غمارة سنة 625 هـ، و ادعى النبوة صراحة و شرع الشرائع و هذه تعتبر خطوة خطيرة فريدة من نوعها بعد مرور خمسة قرون على وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم أي خمسة قرون من انتشار الاسلام الذي يؤكد بعدم وجود النبوة بعد الرسول صلى الله عليه و سلم⁴.

¹ عليّ بن يحيى: المرجع نفسه، ص 471.

² عبد الله بن عبد العزيز: المرجع السابق ص 77-79.

³ كمال السيد ابو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الاسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المغرب للونشريسي، ص 51.

⁴ الناصري: المرجع السابق، ج 2، ص 234-263.

الكثير من الناس ينظرون إلى أن البدع مرتبطة فقط باختصاص الشرع والعقيدة وينسون أن ظاهرة البدع تمس الناحية الاجتماعية بشكل كبير، بحيث تبين لي من خلال خطوات البحث البدع في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط أن البدع بغض النظر أنها على علاقة بالعقيدة الإسلامية إلا أن لها خلفيات تاريخية مرتبطة بجميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية .

وما يمكن تسجيله من خلال البحث من نتائج أولية ، بحيث لا يمكن أن ندرس ظاهرة البدع في المغرب الإسلامي في بعض الصفحات وإنما يحتاج إلى عدة مجلدات ولكن حاولت أن أضع صورة واضحة لظهور البدع في المغرب ووصلة إلى مجموعة من النتائج هي :

- سلامة المغرب الإسلامي في عهوده الأولى من أشكال البدع والانحرافات العقيدية ، لأنه كان على مذهب السلف النقي من كل الشبهات متمسكا بطريقتهم وهذا الذي ابقى المغرب سليما من الأفكار البدعية حتى في عهوده المتأخرة خاصة إذا قارناه مع المشرق .

- ايجابية المذهب المالكي الذي كان علمائه هم أصحاب السلطة الدينية والسياسية والثقافية والاجتماعية في المغرب ويظهر هذا في تشدد علماء المالكية المغاربة الذين اخذوا هذا التشدد من الإمام مالك ابن انس مع المبتدعة كان له الأثر الطيب من سلامة المغرب نوعا ما من البدع .

- استغلال المبتدعة الظروف المزرية لنشر أفكارهم الانحرافية لأغراض عديدة فنجد أن هذه البدع تبدأ برجل واحد فيه خبث ودهاء وله القدرة على التأثير ، موازاة مع حب الناس لكل ما هو جديد .

- التعدد المذهبي الذي شهدته المغرب بداية من القرن 2هـ والمتثلة بالخوارج والشيعة بالإضافة إلى الفرق الكلامية والصراع الدائر بينهما أدى إلى انتشار البدع بشكل رهيب إلى رحيل الفاطميين و رجوع سيادة المذهب المالكي إلى المغرب .

- جهود علماء المالكية في محاربة الفرق الكلامية والمذاهب الانحرافية والفكر الارجائي عامة بشتى الوسائل التي تعددت وتنوعت بين المناظرات والتأليف وحتى القوة .

- أهم نقطة توصلت إليها والتي يعاني منها المغرب الإسلامي بشكل كبير إلى اليوم هو تحول الدين عند الكثير من الناس إلى عبادة الأضرحة و الأولياء والمتصوفة بطرقه وأفكاره وبدعه .

- تساهل علماء المغاربة مع أفكار الصوفية وتساهل وموالاته السلطة معهم كان السبب الوحيد لنشر انحرافهم .
- ذهنية المغاربة ساهمت نوعا ما في انتشار الأفكار البدعية خاصة الآتية من المشرق بحيث كانوا يتفاعلون معها لأن المغاربة متعلقون كثيرا بهم .
- انقسام الإسلام إلى قسمين كما سبق وان ذكرت، قسم ما يعرف بالدين الشعبي التي تمثله الطرق الصوفية والأضرحة و غيرها ، والدين الرسمي الذي انحصر في الفقهاء والعلماء وبعض الناس .
- ارتباط الموروث التقليدي وعلاقته مع البدع بل ساهم في انتشار البدع حيث أدى في المقابل إلى تراجع الإسلام الأصيل وابتعاده عن الحياة العامة .